Phonetic Harmony in the Works of Raḍī al-Dīn al-Istirābādhī (d. 686 AH)

Assistant Professor Dr. Suhair Kadhim Hassan
University of Basrah / College of Education for Human Sciences
E-mail: Suhair.hassan@uobasrah.edu.iq

Abstract:

Phonetic harmony is an old term addressed by Raḍī al-Dīn al-Istirābādhī (d. 686 AH) in his book Sharḥ al-Shāfiyah. It refers to phonetic compatibility and to bringing one sound closer to another adjacent sound as a result of mutual influence among these sounds. The research has found that the phonetic phenomena in which phonetic harmony occurs are phenomena that belong exclusively to assimilation. These include imālah vowel inclination, the substitution of a silent nūn with mīm, and the substitution of a geminated yāʾ with jīm, in addition to other phenomena that al-Istirābādhī analyzed and clarified in terms of the degree of phonetic harmony involved.

Keywords: harmony, linguistic sounds, assimilation, phonetic approximation, compatibility.

المـنـاسـبـة الصوتية عند رضيّ الدين الاستراباذي(ت٦٨٦هـ)

الاستاذ المساعد الدكتور سهير كاظم حسن
جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية
E-mail: Suhair.hassan@uobasrah.edu.iq

الملـخّص:

المناسبة الصوتية مصطلح قديم تناوله رضيّ الدين الاستراباذي**(ت٦٨٦هـ)** في كتابه شرح الشافية، وهو مصطلح يدلّ على التلاؤم الصوتي، وعلى تقريب الصوت من الصوت الآخر المجاور له، نتيجة التأثير والتأثّر بين هذه الأصوات، وقد وجد البحث أنّ الظواهر الصوتية التي تحصل فيها المناسبة الصوتية انّما هي ظواهر تنتمي الى المماثلة فقط، ومن هذه الظواهر الامالة وابدال النون الساكنة ميماً وابدال الياء المشدّدة جيماً فضلاً عن ظواهر أخرى اهتمّ الاستراباذي بتحليلها وتوضيح مدى المناسبة الصوتية فيها.

الكلمات المفتاحية: المناسبة ، الأصوات اللغوية ، المماثلة ، التقريب الصوتي ، التلاؤم.

المـقـدّمـة:

بحث علماء العربية في كثير من القضايا الصوتية الخاصة باللغة العربية، فتعرّضوا للنظام الصوتي الخاص بها من حيث المخارج والصفات والتحليلات الخاصة بالظواهر الصوتية المختلفة. وكانت لبعض العلماء مصطلحات خاصة بالتحليل الصوتي، لتوضيح أسباب التقارب أو التنافر بين الأصوات، ومن هؤلاء العلماء العالم ابن الحاجب والعالم رضيّ الدين الاستراباذي(ت٦٨٦هـ) اللذان استعملا مصطلح (المناسبة) عند توضيحهما وتحليلهما لبعض القضايا الصوتية، فقد استعمله ابن الحاجب – قليلاً – في كتابه(الشافية في علم التصريف والخط)، وتبعه في ذلك رضيّ الدين الاستراباذي فاستعمله بكثرة عند شرحه وتحليله بعض الظواهر الصوتية في كتابه(شرح شافية ابن الحاجب)، لذلك نُسِب هذا المصطلح الى الاستراباذي ولم يُنسَب الى ابن الحاجب. وهذا المصطلح – أي المناسبة –هو ماسنتناوله في بحثنا هذا، اذ سنوضّح فيه مفهوم المناسبة لغةّ واصطلاحاً، وعلاقة المناسبة بالمماثلة الصوتية، فضلاً عن توضيح الظواهر الصوتية التي رأى العالمان أنّ المناسبة كانت سبباً في حدوثها، ثم سنختم بخلاصة للموضوع مع بعض النتائج التي توصّل اليها البحث، والله وليّ التوفيق.

المناسبة الصوتية

المناسبة الصوتية لغةً:

لفظ مأخوذ من(نَسَبَ)، و((النَّسَبُ: نَسَبُ القرابات، وهو أحد الأنساب. ابن سيده: النِّسْبَةُ والنُّسْبَةُ والنَّسَبُ: القرابة..., النَّسَبُ يكون بالآباء، ويكون الى البلاد، ويكون في الصّناعة .... ونَسَبَهُ يَنْسِبُهُ نَسَباً: عَزاهُ.... وناسَبَهُ شركَهُ في نَسَبِهِ .... وتقول ليس بينهما مُناسَبَة، أي مُشاكَلَة))[١].

والمُشاكَلَة يُقصَد بها الموافقة، وهي– أي المشاكلة – لفظ مأخوذ من (الشَّكْل) أي النِّسْبَة والمِثْل[٢]. وهذا يعني أنّ المُشاكَلة يُقصَد بها المُماثلة والمشابهة والموافقة، وبما أنّ المناسبة هي المُشاكَلة ، فذلك يعني أنّ المُناسَبة هي المُماثلَة والمُشابهة والمُوافقة.

المناسبة الصوتية اصطلاحاً:

يُقصَد بها تماثل الأصوات اللغوية من حيث الصّفات ، أو من حيث المخارج، وتحقيق التقارب أو التلاؤم والانسجام بينها داخل التركيب اللغوي سواء أكان هذا التركيب كلمة واحدة أو جملة ، اذ إنّ الأصوات في أي لغة من اللغات حين تتجاور في لفظ ما فانّها قد تتأثّربعضها خلال عملية النّطق، ممّا قد يؤدّي هذا التأثّر الى أن تتّفق هذه الأصوات ببعضها في المخرج، أو في بعض صفات الأصوات المجاورة، وهذا الاتّفاق والتماثل بين الأصوات المجاورة يحدث نتيجة تغيير في المخرج ، أو تغيير في بعض الصّفات. واللغة العربية عرفت هذ النّوع من التأثير والتأثّر، وهو مايُطلَق عليه– حديثاً – مصطلح المُماثَلَة.

ويُقصَد بالمُماثَلة ظاهرة صوتية تنجم عن تعديل الصوت ليصبح أكثر تماثلاً وتشابهاً وانسجاماً مع صوت آخر يجاوره، والهدف منها تسهيل النّطق[٣]، بأن تميل الأصوات اللغوية للتقارب.

وصنّف المحدثون المُماثلة الى أنواع ، بحسب مدى تغيّر الصوت، وبحسب تجاور الأصوات أو تباعدها في السلسلة الكلامية، وبحسب اتّجاه التأثير، وكان التصنيف كالآتي:

أ– من حيث التماثل الكلّي أو الجزئي: ويقسم على قسمين،هما:

١– المماثلة الكلية (التامّة): وهي أن يتغيّر الصوت اللغوي بشكل كامل، ليماثل صوتاً آخر[٤]، نحو لفظ (الزّهْو)، ننطقها:اَزْزَهْو، فأُبدِلَت(ل) أل التعريف الى صوت(ز) ، لِيُدغَم بعد ذلك في صوت(ز) من كلمة (زهو).

٢– المماثلة الجزئية(غير التامّة):وهي أن يتغيّر الصوت في بعض صفاته أو خصائصه ليماثل صوتاً آخر – في السلسلة الكلامية نفسها– ويكون التماثل في كيفية النطق من حيث الهمس أو الجهر أو التفخيم مثلاً، أو قد ينتقل مكان نطق الصوت الى موضع آخر[٥]، ليحدث التماثل الجزئي بين الصوتين، نحو

ماذكره الاستراباذي من ظواهر صوتية تدخل في نطاق مصطلح المناسبة كالإمالة[٦]، وإشمام الصاد زايآ في كلمة (مَصْدَر) عند مجاورة الصوت(ص) الساكن لصوت(د)[٧]، وهو ما سنفصّل الحديث فيه لاحقآ.

ب- من حيث تجاور الأصوات اللغوية أو تباعدها:

١- المماثلة التجاوريّة: وهو أن يتغيّر الصوت ليماثل صوتاً آخر يجاوره مباشرة في التركيب اللغوي[٨]، مثل كلمة (يُنْبوع) فالصوت (ن) من هذه الكلمة أبدل الى الصوت (م) ، فتحول نطق الكلمة الى (يُمْبوع) ، ليماثل الميم صوت الباء من حيث المخرج ، لأنّهما صوتان شفويان[٩].

٢- المماثلة التباعديّة: وهو أن يتغيّر صوت ليماثل صوتاً آخر لايجاوره في الكلمة ، بل قد يفصل بينهما أكثر من صوت[١٠]، نحو كلمة(صِراط)، وأصل الكلمة(سِراط)[١١]. وأبدل الصوت(س) الى(ص) بعد أن اكتسب تفخيماً من الصوت(ط)[١٢] الذي يفصل بينه وبين(س) صوتان هما(ر، ا). فالطاء والصاد يشتركان في صفتي الاطباق والتفخيم[١٣] ويشترك الصوتان(س،ص)في المخرج[١٤]، وفي صفات الصفيروالهمس[١٥] والرّخاوة[١٦].

ج- وتُصنّف المماثلة بحسب اتجاه التأثير الى صنفين، هما:

١- المماثلة التقدّميّة: والصوت الأول في الصوت اللغوي اللاحق له[١٧]، نحو كلمة (اصطفى) على وزن (افتعل) من الفعل(صَفا) ، نجد تأثير الصوت الأول(ص) في الصوت اللاحق(ت) افتعل، فأبدل الى (ط) ، فأصبح الفعل اصطفى بدل اصتفى. وسنوضح تحليل هذا الابدال لاحقاً عند شرح صيغة افتعل.

٢- المماثلة الرجعية: وهو أن يؤثر الصوت اللغوي اللاحق في الصوت السابق له[١٨]، نحو تأثير الصوت (د) في الصوت (ص) في كلمة (يُصْدِر)، اذ تُقرَأ عند بعض القرّاء (يُزْدِر)[١٩] بالزاي المفخّمة. وسيتم توضيح السبب عند شرح هذه الحالة.

واذا كانت المماثلة تمثّل مصطلحاً جديداً يقابل المناسبة ويطابقها معنىً ، فانّ هناك مصطلحات صوتية قديمة لها معنى المناسبة والمماثلة نفسه، مثل مصطلح (المضارعة) عند سيبويه[٢٠]، وقد استعمله ابن الحاجب في شافيته[٢١].

ويعدّ مصطلح (الإدغام الأصغر) عند ابن جنّي [٢٢] الذي استعمله الاستراباذي في شرح الشافية[٢٣]، فضلاً عن مصطلح (التقريب الصوتي)[٢٤] من المصطلحات التي تعطي معنى المماثلة الجزئيّة، وقد استعمل الاستراباذي مصطلح تقريب الصوت من الصوت في شرح الشافية[٢٥].

فالمناسبة والمضارعة والادغام الأصغر انّما هي تقريب صوت لغويّ من صوت آخر.

وللمناسبة الصوتية أسباب،هي:

١- التأثّر بصفة الصوت اللغوي المجاور كالجهر، أو الهمس، أو التفخيم، أو غيرها من الصفات، اذ قد يتأثّر الصوت اللغوي بالصوت المجاور له والمختلف عنه صفةً، فيتمّ التماثل بأن يكتسب – على سبيل المثال – جهراً، فيتحوّل الى صوت قريب منه وموافق له في الصفة، ليصيح الصوتان كلاهما مجهورين، نحو: ازْدَهَر، اذ إنّ أصل الكلمة (ازْتَهَر) فاكتسب صوت التاء جهراً، فأصبح دالاً، وهو ماسنوضحه بالتفصيل لاحقاً.

٢- انتقال مخرج الصوت من مخرجه الأصلي الى مخرج آخر، فيستبدل به أقرب الأصوات اللغوية اليه في المخرج الجديد، مثل صوتي(ن، م) في كلمة (عَنْبَر). وسيتم توضيح ذلك في الظواهر اللغوية الخاصة بالمناسبة.

الظواهر الصوتية التي تتعلّق بالمناسبة الصوتية:

ورد لفظ(المناسبة)في مواضع عدّة من كتابي الشافية لابن الحاجب وشرح الشافية لرضيّ الدين الاستراباذي، ودلّ على بعض الظواهر الصوتية التي تدخل ضمن المماثلة الجزئية في اللغة العربية. وهذه الظواهر هي:

١- **الامالة:** وهي أول تنوّع صوتي ورد فيه مصطلح المناسبة في الكتابين المذكورين أعلاه –أي كتاب الشافية وكتاب شرح الشافية– فقد قال ابن الحاجب:((الإمالة أن يُنْحى بالفتحة نحو الكسرة، وسببها قَصْد المناسبة لكسرةٍ أو ياء، أو لكون الألف منقلبة عن مكسور، أو ياء، أو صائرة ياءً مفتوحة، وللفواصل أو لإمالة قبلها على وجه))[٢٦].

وعند شرح الاستراباذي لهذا الموضوع، قال:((وسبب الإمالة إمّا قَصْد مناسبة صوت نطقك بالفتحة صوت نطقك بالكسرة التي قبلها كَعِماد، أو بعدها كَعالِم، أو لصوت نطقك بِياء قبلها كَسَيال وشَيْبان، أو قَصْد مناسبة فاصلة لِفاصلة مُمالة، أو قَصْد مناسبة إمالة لإمالة قبل الفتحة، أو قَصْد مناسبة صوت نطقك بالألف بصوت نطقك بأصل تلك الألف، وذلك اذا كانت منقلبة عن ياء أو واو مكسورة كَباعَ وخافَ، أو لصوت مايصير اليه الألف في بعض المواضع....))[٢٧]

وهنا نجد أنّ ابن الحاجب استعمل مصطلح المناسبة، أمّا الاستراباذي فقد كرّر هذا اللفظ أكثر من مرّة في النصّ، ليوضّح تعريف ابن الحاجب للإمالة المناسبة، ويبيّن أسباب حدوث المناسبة لتؤدي الى إمالة الألف.

ولكي يتّضح عندنا معنى(المناسبة) أكثر لابدّ من توضيح الإمالة من خلال التحليل الصوتي لهذه الظاهرة، فالصوتان(ا، ي) كلاهما يقعان في موضع الغار، أو الحنك الأعلى الصلب، إلّا أنّ الياء تقع في

وسط الغار[٢٨]، أمّا الألف فيقع في أقصى الغار قريباً من الطبق[٢٩]. وعند نطق الألف يرتفع أقصى اللسان (مؤخره) باتّجاه الطبق، أمّا الياء فلا يرتفع أقصى اللسان كما هو الحال عند نطق الألف[٣١].

ولتحقيق المناسبة بين نطق صوت(ا) مع نطق صوت(ي) عند نطق ألف الإمالة لابدّ من اقتراب مخرج الألف نحو وسط الحنك الأعلى قليلاً- أي نحو مخرج الياء – فضلاً عن ذلك فانّ أقصى اللسان لابدّ أن ينخفض قليلاً عمّا هو عليه عند نطق الألف الخالصة غير المُمالة. بهذه الكيفية يمكن أن يتناسب وينسجم صوت الألف مع الياء فينحو نحوه، ممّا يؤدّي الى انتاج صوت وسط ليس بألف خالصة ولاياء خالصة، يقع في الغار، وهو صائت مجهور، يُطلَق عليه الف الإمالة. والمناسبة هنا يُقصَد بها تقريب صوت من صوت، أي مُماثلة جزئية تحدث من خلال تقريب موضع خروج الألف من موضع خروج الياء.

٢- **ابدال النون ميماً:** قال ابن الحاجب في ذلك:((ومن النون لازم في نحو عَنْبَر))[٣٢]. وقد وضّح الاستراباذي في شرح الشافية سبب هذا الإبدال بقوله:((والميم تناسب اللام والنون لكونهما مجهورتين وبين الشديدة والرخوة))[٣٣]. اذ إنّ كلّ نون ساكنة قبل الباء في كلمة كعَنْبَر، أو بين كلمتين نحو:سميعٌ بَصير، فانّه يتعسّر التصريح بالنون الساكنة قبل الباء، لأنّ النون الساكنة يجب اخفاؤها مع غيرحروف الحلق[٣٤].

والمناسبة بين الصوتين(ن، م) هنا يُقصَد بها تشابه الصوتين في بعض الصفات، هي: الجهر[٣٥]، والتوسّط بين الشدّة والرّخاوة[٣٦]، فضلاً عن الغنّة[٣٧]، غير أنّ الميم صوت شفوي[٣٨] ، والنون صوت لثوي[٣٩].

فالنون صوت لثوي يتكوّن بأن يأتي الهواء من الرئتين الى القصبة الهوائية ثم ينتقل الى الحنجرة فيحرّك الأوتار الصوتية، ثم ينطلق الى الحلق ثم الفم، حتى يصل الى منطقة اتصال اللسان باللّثة، فينغلق مجرى الهواء، لذلك يتخذ الهواء مسرباً آخر، فيخرج عن طريق الخياشيم والأنف[٤٠].

وينتج صوت الميم بأن يأتي الهواء من الرئتين الى القصبة الهوائية، ثم الى الحنجرة فتهزّ الأوتار الصوتية، ثم يخرج الهواء الى الحلق، ثم الفم، ثم الى الشفتين فينغلق مجرى الهواء عند انطباق الشفتين على بعضهما انطباقاً تامّاً، فيتخذ الهواء مسرباً آخر ليخرج من الخياشيم[٤١].

أمّا الباء فهو صوت شفوي مجهور شديد[٤٢]، يتكوّن بأن يأتي الهواء من الرئتين الى القصبة الهوائية، ثم الى الحنجرة فتهتز الأوتار الصوتية، ثم ينطلق الهواء نحو الحلق والفم، حتى اذا وصل الى الشفتين انحبس الهواء بسبب انغلاقهما وسدّ مجرى الهواء، ثم تنفرج الشفتين ليخرج الهواء على شكل انفجار[٤٣].

إنّ هذه الآليّة في نطق الأصوات الثلاثة (ن، م، ب) تجعل من المستحيل نطق صوت النون الساكن الذي يجاور صوت الباء مباشرة ويتقدّم عليه، ذلك لأنّ الهواء يعترضه انغلاقان في مجراه، الإنغلاق الأول عند اتصال اللسان – باللّثة عند نطق النون – والإنغلاق الثاني حين تنطبق الشفتين انطباقاً تامّاً – عند

نطق الباء – لذلك توجّب إجراء تعديل في جهاز النطق يؤدي الى ابدال النون ميماً، ليكون مكان الإنغلاق في موضع واحد هو الشفتان .

من هنا نستنتج أنّ المناسبة التي تحدّث عنها الإستراباذي يُقصَد بها التشابه في الصفات بين (ن ، م) الذي يجعل الإبدال بينهما ممكناً، اذ إنّهما من المقابلات المتكافئة التي تتميّز بتشابه صفاتها كلّها، إلّا أنّ مخرجيهما مختلفان[٤٤]، فالنون لثوي والميم شفوي كما ذكرنا سابقاً. وعلى الرّغم من أنّ الإستراباذي تحدّث عن المناسبة بين الصوتين(ن، م) إلّا أنّه لم يتحدّث عن المناسبة والتجانس بين صوتي(ب، م) اذ إنّ وجودهما في كلمة واحدة جعل نطقها سهلاً، فالصوتان مجهوران وينتميان لمخرج واحد هو الشفتان، وهذا التناسب أو التماثل الجزئي في أصوات الكلمة(عَمْبَر) يجعل نطقها أسهل من نطق كلمة(عَنْبَر) التي لايمكن نطقها كلمة واحدة مباشرة وانما يجب أن نجزّأها الى مقطعين، هما : عَنْ بَر.

٣- ابدال تاء الافتعال:

أ- ابدال تاء الافتعال طاءً، اذا جاء في هذه الصيغة أحد أصوات الاطباق: ص، ض، ط، ظ ،اذ قال ابن الحاجب:((...بأنّ الطاء لاتجيء مكان تاء الافتعال إلّا اذا كان قبلها حرف اطباق، وهي مناسبة للتاء في المخرج ولما قبلها من حروف الإطباق بالاطباق فيغلب الظنّ ابدال التاء طاءاً لاستثقالها بعد حرف الإطباق، ومناسبة الطاء لحرف الاطباق والتاء، وكذا الكلام في الحرف المدغم نحو ادّكَرَ واثّاقَلَ))[٤٥].

ب- ابدال تاء الافتعال دالاً، اذا جاء في هذه الصيغة صوتاً مجهوراً، وفي ذلك قال ابن الحاجب:((والدّال من التاء لازمٌ في نحو ازدجرَ وادّكَرَ، وشاذٌّ في نحو فُزْدُ واجْدَمَعوا و اجْدَزّ ودَوْلَجَ))[٤٦]وشرح الاستراباذي هذه العبارة بقوله:((اذا كان فاء افتعل أحد ثلاثة أحرف: الزاي، والدال، والذال، قُلِبَت تاء الإفتعال دالاً، وأدغمت الدال والذال فيها، نحو ادّان، و ادّكر، كما يجيء ، وقد يجوز أن لايُدغَم الذال نحو اِذْدَكَرَ))[٤٧]، وبيّن الاستراباذي ابدال التاء دالاً، لأنّ الدال مناسبة للذال والزاي في الجهر، وللتاء في المخرج، فتوسّط بين التاء وبينهما، وإنّما أُدغِمَت الذال في الدال دون الزاي لقرب مخرجها من مخرج الدال، وبعد مخرج الزاي منها))[٤٨]

أمّا ابدال التاء دالاً في ازْدَجَرَ و اجْدَمَعَ فقد رأى أنّها((لِتَناسب الصوت))[٤٩] وذلك لأنّ التاء والدال ينتميان للمخرج نفسه، وهو المخرج الأسناني اللثوي[٥٠]، ويتصفان كلاهما بالشدّة[٥١]، غير أنّ الدال مجهورة والتاء مهموسة[٥٢]. فضلاً عن أنّ الدال تشترك مع الزاي بالجهر[٥٣]، لذلك كان من المناسب أن تبدل التاء دالاً مع وجود الزاي.

إنّ صوت(ت) يشترك مع صوتي(ط، د) في مخرج واحد هو المخرج الأسناني اللثوي، فحين يرد أحد أصوات الاطباق(ص، ض، ط، ظ) في صيغة افتعل أو أحد مشتقاتها، فانّ تاء افتعل تُبدَل مباشرة الى

طاء، وذلك لأنّ أصوات الاطباق تتصف بأنّها مفخّمة مستعلية، عند النطق بها يرتفع طرف اللسان الى الأعلى نحو سقف الفم، فضلاً عن ذلك فانّه يرتفع أقصى اللسان نحو الطبق (الحنك الليّن) فيصبح هناك مايشبه غرفة رنين[٥٤]، تعمل على تفخيم الصوت، ويكون هذا التفخيم قوياً فيؤثر على الأصوات المجاورة مثل التاء التي تشترك مع الطاء في المخرج فضلاً عن أنّها تشترك معها في صفتي الهمس والشدّة، غير أنّ التاء صوت مرقّق والطاء مفخّم، لذلك فانّ التاء حين يكتسب تفخيماً- بسبب تأثّره بأحد أصوات الاطباق -فانّه يُبدَل الى صوت الطاء. وهذا ماجعل الاستراباذي يرى أنّ التاء مناسبة للطاء في المخرج، أي أنّها مشابهة ومماثلة له في المخرج، ولكن من حيث الصفات فالطاء عند القدماء – ومنهم ابن الحاجب والاستراباذي- مجهورة[٥٥].

وسبب ابدال التاء دالاً في صيغة افتعل اذا ورد فيها صوت مجهور كالأصوات(ذ، ز، د)، نحو: ازدهر، وادّكر، واذدكر، فهو أنّ التاء هنا تتأثّر بجهر هذه الأصوات، فتكتسب هذا الجهر منها فتُبدَل الى صوت الدال، ذلك أنّ التاء والدال يشتركان في المخرج نفسه، فضلاً عن أنّهما صوتان شديدان[٥٦]، غير أنّ التاء صوت مهموس والدال صوت مجهور، فالدال تماثل التاء في المخرج والشدّة، وتماثل الذال والزاي في الجهر، والتماثل في المخرج هنا هو ماقصده الاستراباذي بالمناسبة .

٤- ابدال الياء المشدّدة جيماً: قال في ذلك ابن الحاجب:((والجيم من الياء المشدّدة في الوقف، في نحو فُقَيْمِجْ، وهو شاذ في غير المشدّدة في نحو لاهُمَّ إن كنتَ قَبِلْتَ حِجّتِجْ أشَذّ.
ومن الياء المفتوحة في نحو قوله حتى اذا ماأمسجَتْ وأمسَجا* أشَذُّ))[٥٧].

وقد علّل الاستراباذي هذا الإبدال بقوله:((والجيم والياء اختان في الجهر، اِلّا أنّ الجيم شديدة، فاذا شُدِّدَت الياء صارت قريبة غاية القرب منها، وهما من وسط اللسان، والجيم أبْيَنُ في الوقف من الياء، فَطُلِبَ البيان في الوقف، اذ عنده يخفى الحرف الموقوف عليه))[٥٨].

ورأى الاستراباذي الفعلين(أمستْ) و(أمسَى) بالياء المخففة أشذّ((لأنّ الجيم أنسب بالياء المشدّدة))[٥٩] لأنّ الجيم صوت شديد عند القدماء[٦٠]. فتشديد الياء يناسب شدة الجيم عند الاستراباذي، ويقصد بلفظ (أنْسَب) أنّ تشديد الياء يلائم وينسجم مع شدّة الجيم، فضلاً عن أنّهما يتماثلان في المخرج نفسه اذ إنّهما يخرجان من وسط الحنك الأعلى(الغار)[٦١] لذلك فهو يرى أنّ الجيم المشدّدة هي أقرب في النطق وأكثر انسجاماً وتلاؤماً مع الياء.

٥- الابدال بين أصوات الصفير(س، ص، ز)

أ- ابدال السين صاداً مع أصوات الاستعلاء[٦٢]: وأصوات الاستعلاء هي سبعة أصوات:(ص، ض، ط، ظ، خ، غ، ق)[٦٣]نحو: صَلَخَ. وأصوات الاستعلاء هي أصوات مفخمة[٦٤]، وفي هذا النوع من التغيير

الصوتي لم يذكر الاستراباذي مصطلح (المناسبة) وانّما ذكر مصطلح تقريب الصوت من الصوت ، ومصطلح تجانس الصوت. وأصل الكلمة (سَلَخَ) وأبدلت السين الى صاد بسبب اكتساب السين تفخيماً من صوت الخاء المفخّم المستعلي[٦٥]، وبهذا يكون صوت الصاد مناسباً للخاء في التفخيم والاستعلاء، وهو يشابه السين في الهمس ولرّخاوة والصفير، فضلاً عن أنّهما من مخرج واحد. فاقتربت صفات أصوات الكلمة وتناسبت وتجانست.

ب- ابدال صوتي الصفير(س، ص) الساكنين اذا وقعا قبل الدال: قال ابن الحاجب في ذلك:((والزاي من السين والصاد الواقعتين قبل الدال ساكنتين نحو يزدل، وهكذا فزدي أنه))[٦٦]، أي يَسْدل، وفَصْدي. وقد حلّل الاستراباذي كلام ابن الحاجب بقوله:((السين حرف مهموس والدال مجهور، فكرهوا الخروج من حرف الى حرف ينافيه، لاسيّما اذا كانت الأولى ساكنة، لأنّ الحركة بعد الحرف، وهي جزء حرف لين حائل بين الحرفين، فقرّبوا السين من الدال، بأن قلبوها زاياً، فيتجانس الصوتان، لأنّ الزاي من مخرج السين وقبلها في الصفير، وتوافق الدال في الجهر، فيتجانس الصوتان، ويجوز في الصاد الساكنة ... فغيّروا الأولى لضعفها بالسكون، بأن قرّبوها من الدال، بأن قلبوها زاياً خالصة، فتناسبت الأصوات لأنّ الزاي من مخرج الصاد وأختها في الصفير وهي تناسب الدال في الجهر وعدم الاطباق، ومَن ضارعَ: أي نحى الصاد نحو الزاي، ولم يقلبها زاياً خالصة، فللمحافظة على فضيلة الاطباق))[٦٧].

ونرى أنّ الاستراباذي استعمل كل الألفاظ التي يُقصَد بها المماثلة الجزئية، نحو: قرّبوها، وتناسب الأصوات، وتوافقها...الخ. فتقريب صوت الصاد المهموس من الزاي المجهور، انّما يكون بتأثير جهر الدال في الصاد، فتكون المماثلة هنا جزئية بأن يكتسب الصاد جهراً مع حفاظه على الإطباق والتفخيم، فيكون بذلك قريباً من نطق الزاي محافظاً على موقعه وصفيره، وفي الوقت نفسه يكون ملائماً لنطق الدال بالجهر.

ويرى البحث أنّه ربّما كان ابدال الصاد ليس زاياً خالصة وانّما هو أنّ الصوت مهموس يُشَمّ صوت الزاي -المجهور- بسبب تأثّره بجهر الدال، اذ إنّ الصاد يحافظ على تفخيمه واستعلائه مع اشمامه بعض الجهر،الّا أنّه لايوجد رمز عند العرب لصوت الصاد المُشَمّ زاياً، أمّا السين فيمكن أن يبدل الى زاي خالصة، لأنّها صوت غير مفخم تشبه الزاي في الصفير والترقيق، فضلاً عن أنّهما من مخرج واحد، ولايفترقان إلاّ بهمس السين، فاذا اكتسبت جهراً صارت زاياً خالصة.

٦- **الشين التي كالجيم:** وهو صوت فرعي مستحسن[٦٨]، يتكوّن نتيجة المماثلة، حين يأتي صوت الشين الساكن قبل صوت مجهور كالدال في أشْدَق، أو قبل الزاي في يشْزر، فيؤثر جهر الدال أو الزاي في صوت الشين المهموس، فيكتسب جهراً، وفي ذلك قال الاستراباذي:((انّما استحسن الشين المشربة صوت

الجيم لأنّه انّما يُفعَل ذلك بها اذا كانت الشين ساكنة قبل الدال، ولدال مجهورة شديدة والشين مهموسة رخوة تنافى جوهر الدال، ولاسيما اذا كانت ساكنة، لأنّ الحركة تُخرِج الحرف عن جوهره فَتُشْرَب الشين صوت الجيم التي هي مجهورة شديدة كالدال لتناسب الصوت))[٦٩].

وهنا نجد ابن الحاجب استعمل لفظ(تناسب) للدلالة على التقريب الصوتي أو المماثلة الجزئية، اذ جمع صوت(الشين التي كالجيم) بين رخاوة وتفشّي الشين وجهر الجيم، ممّا جعله صوتاً قوياً مستحسناً عند العرب القدامى.

٧- **ابدال العين حاءً:** وفي هذا الموضوع قال الاستراباذي:((كان القياس الأول: أي قلب الأول الى الثاني، أن يُقال مَهُم، بقلب العين هاء، وقياس العارض، وهو كون الثاني، اي الهاء أدخل في الحلق وأثقل، أن يُقلَب الثاني الى الأول، فيُقال: مَعُم، فاستثقل كلاهما،... فطلبوا حرفاً مناسباً لهما أخَفّ منهما، وهو الحاء: أمّا كونه أخَفّ فلأنّه أعلى منهما في الحلق... وأمّا مناسبته للعين فلأنّهما من وسط الحلق، وأمّا الهاء فبالهمس والرخاوة، فلذا قلب بعض بني تميم العين والهاء حاءين وأدغم أحدهما في الآخر نحو مَحُّم ومَحّاؤلاء، في معَهُم ومعَ هؤلاء))[٧٠].

فالمناسبة هنا يقصد بها التشابه، فمناسبة الحاء للعين هي أنهما صوتان حلقيان، أي أنّ مخرجهما واحد[٧١]. وأمّا مناسبة الحاء للهاء فلأنّهما يتشابهان في صفتي الهمس والرّخاوة[٧٢]، غير أنّ العين صوت مجهور ومتوسط بين الشدّة والرخاوة[٧٣]. لذلك أُبدلت العين الى حاء، لأنّ الحاء أسهل نطقاً من العين.

الخلاصة والنتائج

تعدّدت وتنوّعت المصطلحات الخاصّة بالبحث الصوتي عند القدماء، ومن المصطلحات التي وردت في كتب بعضهم مصطلح(المناسبة) الذي ورد عند ابن الحاجب في كتابه (شافية ابن الحاجب) عند حديثه عن الإمالة، ثم أخذه رضيّ الدين الاستراباذي واستعمله عند شرح وتوضيح بعض القضايا الصوتية. ولكثرة استعماله مصطلح المناسبة- أو ناسب أو ناسب- في كتابه (شرح الشافية) فقد نُسِب هذا المصطلح له وليس لابن الحاجب. وعند البحث في هذا الموضوع توصّلنا الى مايأتي:

١- المناسبة مصطلح صوتي يدلّ على الملاءمة والانسجام بين الأصوات اللغوية، يحدث بسبب التأثير والتأثّر بين الأصوات اللغوية داخل التركيب اللغوي، سواء أكان هذا التركيب كلمة أو جملة، ممّا يؤدي الى تشابه وتماثل هذه الأصوات في بعض الصفات، وهو مايؤدي الى سهولة نطق الكلمة أو الجملة.

٢- المناسبة مصطلح صوتي يمثّل المرادف أو الوجه الآخر لمصطلح(المماثلة الجزئية) الذي يستعمله المحدثون، وتمثّل المرادف لمصطلح(المضارعة) عند سيبويه، ومصطلح(الادغام الأصغر) عند ابن جني، اذ إنّ كلّ هذه المصطلحات المذكورة تُعنى بالتقريب الصوتي.

٣- قد يُقصَد بالمناسبة أحد الأمرين الآتيين:

أ- التشابه في الصفات، كإشمام الصاد زاياً، أو ابدال تاء الافتعال الى طاء أو دال.

ب- التقارب أو التماثل في المخارج وليس في الصفات فحسب، كإبدال النون الساكنة الواقعة قبل الباء الى ميم.

٤- القضايا الصوتية التي شملتها المناسبة في شرح الشافية، والتي حدثت نتيجة التقريب الصوتي أو المماثلة الجزئية، هي:

أ- الامالة

ب - اشمام الصاد زاياً

ت - ابدال تاء الافتعال طاءاً اذا ورد في الصيغة أحد أصوات الاطباق ، وابدال تاء الافتعال دالاً اذا ورد في الصيغة صوت مجهور

ث - ابدال النون الساكنة ميماً اذا ورد بعدها صوت الباء

ج - ابدال السين صاداً مع أحد أصوات الاستعلاء

ح - ابدال عين (معهم) حاءً

خ - ابدال الياء المشدّدة جيماً

د - الشين التي كالجيم.

فهرس الهوامش:

١- لسان العرب ٨/٥٣٠،٥٣١

٢- ينظر لسان العرب ٥/١٦٩

٣- ينظر معجم علم الأصوات١٦٢ - والمصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء ١٦٥.

٤- ينظر معجم علم الأصوات ١٦٢،١٦٣

٥- ينظر معجم علم الأصوات ١٦٣- والمصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء ١٦٩.

٦- ينظر شرح الشافية٣/٤.

٧- ينظر شرح الشافية ٣/٢٣١.

٨- ينظر معجم علم الأصوات ١٦٢- والأصوات اللغوية (عبد القادر عبد الجليل) ٢٨٩.

٩- ينظر الكتاب٤/٣٢٥،٣٢٦- والأصوات اللغوية (أنيس) ٤٥- والأصوات اللغوية (عبد الجليل)١٧٣.

١٠- ينظر الأصوات اللغوية (عبد الجليل)٢٨٩.
١١- ينظر لسان العرب مادة (سرط) ٥٥٩/٤.
١٢- ينظر الكتاب ٣٢٥/٤،٣٢٦- والأصوات اللغوية (عبد الجليل) ١٦١، ١٦٤، ٢٧١.
١٣- ينظر الكتاب ٣٢٧/٤- ومناهج البحث في اللغة ٩٤، ١٠٠- والأصوات اللغوية (عبد الجليل) ١٥٢.
١٤- ينظر الكتاب ٤/ ٣٢٥، ٣٤٩- ومناهج البحث في اللغة ١٠٠- والأصوات اللغوية (عبد الجليل) ١٥٥- وعلم الأصوات(بشر) ١٨٤.
١٥- ينظر الكتاب٣٢٦/٤- والأصوات اللغوية (عبد الجليل) ١٦٣، ١٦٤- وعلم الأصوات (بشر) ١٧٤.
١٦- ينظر الأصوات اللغوية ١٦٣، ١٦٤.
١٧- ينظر الأصوات اللغوية(عبد الجليل)٢٨٥.
١٨- ينظر الأصوات اللغوية ٢٨٧.
١٩- ينظر الكتاب ٣٦١/٤.
٢٠- ينظر الكتاب٣٥٩/٤،٣٦٠.
٢١- ينظر شافية ابن الحاجب ١٥٥.
٢٢- ينظر الخصائص١٤٣/٢.
٢٣- ينظر شرح الشافية ٢٣٠/٣،٢٣١.
٢٤-ينظر الخصائص١٤٣/٢ – والتقريب الصوتي عند ابن جني ٧٦.
٢٥ينظر شرح الشافية ٢٣٠/٣،٢٣١.
٢٦- الشافية ١٥٥- وينظر شرح الشافية ٤/٣.
٢٧- شرح الشافية ٥/٣ .
٢٨- ينظر دراسة الصوت اللغوي ٣١٧ – والأصوات الغاريّة في اللغة العربية ٣٨.
٢٩- ينظر دراسة الصوت اللغوي ٣١٨- وعلم الأصوات العام ١٣٩- والأصوات الغاريّة في اللغة العربية ٣٨،٢٤٩ .
٣٠- ينظر دراسة الصوت اللغوي٣١٨- والتفكير الصوتي عند الخليل ٥٨- ومدخل الى علم اللغة (محمد الخولي).
٣٦- والأصوات اللغوية(محمد علي الخولي)٤٠- والأصوات الغارية في اللغة العربية ٢٤٩.
٣١- ينظر دراسة الصوت اللغوي ٣١٨- والأصوات الغاريّة في اللغة العربية ٢٠١.
٣٢- شافية ابن الحاجب ١٧٣- وينظر شرح الشافية ٢١٥/٣،٢١٦ .
٣٣- شرح الشافية ٢١٦/٣ .
٣٤- ينظر شرح الشافية ٢١٦/٣ .
٣٥- ينظر الكتاب ٣٢٥/٤- وشرح الشافية ٢١٦/٣- والأصوات اللغوية (انيس)٤٥ ،٦٦- والأصوات اللغوية (عبد الجليل)١٧٣- وعلم الأصوات(بشر) ١٧٤ .

٣٦- ينظر الكتاب ٣٢٦/٤- وشرح الشافية ٢١٦/٣- والأصوات اللغوية (أنيس) ٤٥ ،٦٦- والأصوات اللغوية (عبد الجليل) ١٥٧ ،١٧٣ .

٣٧- ينظر الكتاب ٣٣٦/٤- والأصوات اللغوية (أنيس) ٧١ ،٧٣- والأصوات اللغوية (عبد الجليل) ١٧٤

٣٨- ينظر الكتاب ٣٢٦/٤- وشافية ابن الحاجب ٢١٦- والأصوات اللغوية (أنيس) ٤٥- والأصوات اللغوية (عبد الجليل) ١٥٧- وعلم الأصوات (بشر) ١٨٣ .

٣٩- ينظر الكتاب ٣٢٦/٤- والأصوات اللغوية (.-أنيس) ٦٦- والأصوات اللغوية (عبد الجليل) ١٧٣- ودراسة الصوت اللغوي ٣١٦ .

٤٠- ينظر دراسة الصوت اللغوي ٣١٦- والأصوات اللغوية (عبد الجليل)١٧٤ .

٤١- ينظر الأصوات اللغوية (أنيس) ٤٥- والأصوات اللغوية (عبد الجليل)١٥٧- دراسة الصوت اللغوي ٣١٥ .

٤٢- ينظر الأصوات اللغوية (أنيس) ٤٥- والأصوات اللغوية (عبد الجليل)١٥٧- دراسة الصوت اللغوي ٣١٥ .

٤٣- ينظر الأصوات اللغوية (أنيس)٤٥- والأصوات اللغوية (عبد الجليل)١٥٦- دراسة الصوت اللغوي ٣١٥.

٤٤- ينظر التحليل الفونولوجي وفق منظور مدرسة براغ ٢١- ومناهج المستشرقين في دراسة أصوات اللغة العربية٦١.

٤٥- شرح شافية ابن الحاجب ١٩٩/٣ .

٤٦- شافية ابن الحاجب١٧٤.

٤٧- شرح شافية ابن الحاجب ٢٢٧/٣.

٤٨- شرح شافية ابن الحاجب ٢٢٧/٣ .

٤٩- شرح شافية ابن الحاجب ٢٢٩/٣ .

٥٠- ينظر دراسة الصوت اللغوي ٣١٦ .

٥١- ينظر الأصوات اللغوية(أنيس)٢٣- والأصوات اللغوية (عبد الجليل)١٤٧- ودراسة الصوت اللغوي٣١٦.

٥٢- ينظر دراسة الصوت اللغوي ٣١٦- وعلم الأصوات(بشر) ١٧٤.

٥٣- ينظر الكتاب ٤/ ٣٢٦- والأصوات اللغوية (أنيس)٢١- ودراسة الصوت اللغوي ٣١٦.

٥٤- ينظر مناهج البحث في اللغة ٨٩- والأصوات اللغوية (عبد الجليل) ١٥٢،١٥٣.

٥٥- ينظر الكتاب٤/ ٣٢٥- وشافية ابن الحاجب ١٧٩- وشرح الشافية ٢٢٦/٣ - الأصوات الأصوات اللغوية (أنيس) ٦٢- والأصوات اللغوية(عبد الجليل) ١٢٦.

٥٦- ينظر الكتاب ٤/ ٣٢٦- والأصوات اللغوية(أنيس) ٢٣- والأصوات اللغوية (عبد الجليل) ١٣٤- ودراسة الصوت اللغوي ٣١٦.

٥٧- شافية ابن الحاجب١٧٤- وينظر شرح الشافية ٢٢٩/٣ .

* هذا البيت من الرجز المشطور، لم يُعثَر على نسبته الى قائله، كما لم يُعثَر على شطر أو بيت سابق له أو لاحق به.

٥٨- شرح الشافية ٣/٢٢٩،٢٣٠ .

* هذا البيت من الرجز المشطور، لم يُعثَر على نسبته الى قائله، كما لم يُعثَر على شطر أو بيت سابق له أو لاحق به.

٥٩- شرح الشافية ٣/٢٣٠.

٦٠- ينظر الكتاب ٤/ ٣٢٥- وشافية ابن الحاجب ١٧٩- وشرح الشافية ٣/٢٥٨.

٦١- ينظر الكتاب ٤/٣٢٦- وشافية ابن الحاجب ١٧٩- وشرح الشافية ٣/ ٢٥٨.

٦٢- ينظر شرح الشافية ٣/ ٢٣٠ .

٦٣- ينظر شرح الشافية ٣/ ٢٣٠ .

٦٤- ينظر شرح الشافية ٣/٢٣٠- ومناهج البحث في اللغة ٩٣- والأصوات اللغوية(عبد الجليل)٢٧٢.

٦٥- ينظر الأصوات اللغوية(عبد الجليل)١٥٣.

٦٦- شافية ابن الحاجب ١٧٤.

٦٧- شرح الشافية ٣/٢٣١،٢٣٢ .

٦٨- ينظر الكتاب ٤/ ٣٢٣- شرح الشافية ٣/٢٥٥،٢٦٥ .

٦٩- شرح الشافية ٣/٢٥٦ .

٧٠- شرح الشافية ٣/٢٦٥،٢٦٦.

٧١- ينظر الأصوات اللغوية(أنيس) ٨٧- والأصوات اللغوية(عبد الجليل)١٨٠،١٨١

٧٢- ينظر الكتاب ٤/- والأصوات اللغوية (أنيس) ٢١، ٢٣ ،٢٥ .

٧٣- ينظر الأصوات اللغوية (أنيس) ٨٨- والأصوات اللغوية (عبد الجليل) ١٨٢،١٨٣ .

فهرس المصادر والمراجع

١- الأصوات اللغوية- د.ابراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو مصرية -مطبعة محمد عبد الكريم حسان- ط٤ - ٢٠٠٧م .

٢- الأصوات اللغوية- د.عبد القادر عبد الجليل- ط٢-دار الصفاء للنشر والتوزيع- عمّان-١٤٣٥هـ =٢٠١٤م .

٣- الأصوات اللغوية، النظام الصوتي في اللغة العربية - د.محمد علي الخولي- دار الفلاح للنشر والتوزيع- عمّان/ الأردن -١٩٩٠م .

٤- الأصوات الغارية في اللغة العربية - هبة فاضل - ط١ -دار الجنوب - البصرة -٢٠٢٤م .

٥- التحليل الفونولوجي وفق منظور مدرسة براغ، صفحة في تاريخ علم اللغة - يحيى علي أحمد - المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها- مج ٥- ع ٢ - شوال١٤٣٠ هـ = تشرين الأول ٢٠٠٩م .

٦- التفكير الصوتي عند الخليل- د. حلمي خليل - ط١- دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية - ١٩٨٨م .

٧- التقريب الصوتي عند ابن جني- د. سهير كاظم حسن- مجلة آداب البصرة - ع ٨٩ - ٢٠١٩م .

٨- الخصائص- صنعة أبي الفتح عثمان ابن جني(ت ٣٢٩هـ)- تحقيق: محمد علي النجار- تقديم: عبد الحكيم راضي- طبع في مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٥ – ٢٠١٠م
٩- دراسة الصوت اللغوي- د. أحمد مختار عمر- طبع ونشر وتوزيع – عالم الكتب – ط٤ -١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م
١٠- شافية ابن الحاجب في ضوء الدرس اللغوي الحديث(نصّ المتن كاملاً)- تحقيق وتقدمة وترجمة: د. البدراوي زهران- دار الآفاق العربية – القاهرة – ط١- ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م .
١١- شرح شافية ابن الحاجب – تأليف الشيخ رضيّ الدّين محمد بن الحسن الإستراباذي النحوي(ت ٦٨٦هـ) – مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب(ت ١٠٣٩هـ) –حقّقهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما الأساتذة: محمد نورالحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد – دار الكتب العلمية- بيروت / لبنان – ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م .
١٢- علم الأصوات- د. كمال بشر- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ٢٠٠٠م.
١٣- الكتاب- لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت ١٨٠ هـ) – تحقيق وشرح: عبد السلام هارون- بيروت/ لبنان- د.ت .
١٤- لسان العرب- للأمام العلّامة ابن منظور(ت ٧١١ هـ) – طبعة ومراجعة مصحّحة – طبع ونشر وتوزيع دار الحديث – القاهرة – ٢٠٠٣م .
١٥- مدخل الى علم اللغة – د. محمد علي الخولي – ط١- دار الفلاح للنشر والتوزيع- الأردن – ٢٠٠٠م .
١٦- المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر –د. عبد القادر مرعي العلي الخليل – جامعة مؤتة –عمّان/ الأردن – ط١ =١٩٩٣م .
١٧- معجم علم الأصوات- د. محمد علي الخولي- نشر مطابع الفرزدق التجارية – ط١ -١٤٠٢هـ =١٩٨٢م.
١٨- مناهج البحث في اللغة – د. تمام حسان – نشر مكتبة الأنجلو مصرية –القاهرة – ١٩٩٠م .
١٩- مناهج المستشرقين في دراسة أصوات اللغة العربية في ضوء الكتب المترجمة – سهير كاظم حسن – رسالة دكتوراه – جامعة البصرة – ٢٠١٥م .